الإعجاز البياني والسنني في قوله تعالى

﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ ﴾

إعداد

د/ شعبان رمضان محمود محمد مقلد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الجوف

ملخص البحث

لقد حوت الآية الأربعين بعد المائة من سورة آل عمران أكثر من جانب من جوانب الإعجاز القرآني، بما يلفت النظر، ويدعو للتأمل للإفادة منها، وهذه الدراسة محاولة لإبراز هذه الجوانب وجمع متفرقاتها، وبيان كيفية الاستفادة منها، وواجب المسلم تجاه ذلك، وربط ذلك كله بأحداث واقعنا المعاصر.

مشكلة البحث: ما الذي تحمله الآية من أسرار وجوانب إعجازية، وهل لدراسة هذه الأسرار والجوانب من أهمية؟

وتهدف الدراسة إلى إبراز ما تحويه هذه الآية من أسرار، رجاء التبصر والانتفاع بها، وإلى بيان جوانب الإعجاز البياني والسنني فيها، وأهمية دراسة هذه الجوانب، وموقف المسلم منها.

ومنهج الدراسة هو المنهج الجمعي الاستقرائي فالتحليلي الاستنباطي.

وخطة الدراسة من مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة.

فالتمهيد في مفهوم الإعجاز القرآني، والمعجزة، والمبحث الأول عن الآية الكريمة، والحديث عن معنى الآية وسياقها ومناسبتها، والإعجاز البياني في الآية الكريمة، وفيه الجوانب اللغوية، والجوانب البيانية، وجوانب القراءات، والثاني في الإعجاز السنني في الآية، وتحته مفهوم السنة والإعجاز السنني، وسنة المداولة ومعناها في الآية، وفوائد العلم بها، والثالث في أهمية دراسة الجوانب الإعجازية في الآية، وموقف المسلم منها، ثم خاتمة البحث، وبها أهم نتائجه، والتي منها:

إن الآية الكريمة بها الكثير من جوانب الإعجاز البياني والسنني، كما أنها تبصرنا بسنة المداولة، وهي: قانون الله في تداول أحوال البشر، من شدة إلى رخاء ومن رخاء إلى شدة، ولها فوائد عديدة منها: أن الشهداء يختارهم الله من المخلصين ويكرمهم عنده، ولا يكون هذا الاختيار للظالمين، وفي ذلك بشارة للمتقين وإنذار لغيرهم، ومنها كذلك: تمييز المؤمنين الصادقين من المنافقين.

ولدراسة أسرار الآية أهمية كبرى، فبها نزداد علمًا وعمقًا في تدبرنا لكتاب ربنا، وندرك إعجاز القرآن الكريم وتجدد عطائه، وبها نستبشر بنصر الله ونثق بوعده، ونوقن بأن الشهادة اختيار أساسه الإخلاص والتقوى، وبدراستها نستوثق أن الله لا يحب الظالمين، ويمحق الكافرين، حينها يزداد منسوبنا الإيماني وصدقنا مع الله ـ عز وجل ـ.

***

The Rhetorical and *Sunani* (belong to the way of Allah) Miracles in Qur'anic Verse "

إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ(Al-Imran 140)"

By: Dr. Sha'ban Ramadan Moqallad
Assocate Professor of Qur'anic Studies, Aljouf University

Abstract:

Qu'ranic verse in chapter of Al-Imran 140 includes more than one aspect of the Qur'anic miracles, which is not only striking, but also calls for reflection to take advantage of it. This study is an attempt to highlight these aspects and gather the scattered information to suggest how to benefit from those aspects as well as identify Muslims' duty toward them, tying everything together with our contemporary reality.

The research problem:

What does the verse indicate of the secrets and miraculous aspects? Is the study of these secrets and aspects significant? The study aims to highlight which secrets the verse contains in order to gain insights and identify benefits. It also defines the aspects of rhetorical and *sunani* miracles as well as the importance of studying these aspects and Muslims' position toward these aspects.

Study methodology:

the analysis follows an inductive collective method and an analytical deductive approach. The study plan includes an introduction, preliminary summary, three chapters, and a conclusion. The preliminary introduction focuses on the concept of Qur'anic miracles and miracles in general. The first chapter discusses the verse and the meaning of the verse, including its context and relevance. chapter explores the rhetorical miracles in the verse, including the aspects of linguistic, rhetorical, and Qur'anic readings. The second examines the *sunani* miracles in the verse, as well as the concept of the Sunnah and *sunani* miracles, the **alternate** *sunnah* and its meaning in the verse, and the benefits of knowing it. The third chapter analyzes the importance of studying the miraculous aspects of the verse and the Muslim position on the verse. The conclusion summarizes the most important results. The verse has many aspects of rhetorical and *sunani* miracles, which enlighten us about **alternate** *sunnah*—namely, the law of God in the circulation of the human condition, from severity to prosperity and otherwise. As such, the verse offers many benefits, such as the martyrs being chosen from God and honoring them. This choice is not for oppressors or wrong-doers, and it affects those who fear Allah, serving as a warning. It distinguishes truthful believers from the hypocrites. The verse's secrets are of great importance as they increase knowledge and realize Holy Qur'an miracles, ushering in the victory of God for those who trust in His promise.

❊❊❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

فإن القرآن الكريم أنزله الله تعالى هدىً ونورًا للناس أجمعين، جاء معجزةً متجددةً في عطائه، وافيًا بحاجات البشر في مختلف العصور، ونظرًا لتجدد الأحداث وتنوع حاجات البشر في كل عصر؛ تنوعت أساليب البحث عند المفسرين حسب معطيات العصر؛لتواكب هذه الأحداث، وتفي بتلك الحاجات للبشرية.

وإن هذا الكون بما فيه ومن فيه، بل إن العالم بأسره وما يحدث فيه من أحداث وغيرها، كل هذا لا يحدث في الكون ولا في العالم صدفة، وإنما يحدث طبقًا لقوانين ثابتة عامة متناهية في الدقة والاطراد، وبما أن الإنسان خَلقٌ من هذا العالم، فهو يجري عليه من تلك القوانين الثابتة -بقدر الله- ما يناسب خلقته وتكوينه من أحوال ونتائج تترتب على هذه الأحوال من مثل: السعادة والشقاء والقوة والضعف؛ إلى آخر ما يصيبه في الدنيا والآخرة.

وتعرف هذه القوانين (بالسنن الإلهية) في هذا العالم، سواء ما كان منها في الكون أو في الإنسان، أو في غير ذلك من مخلوقاته، ومن تلك السنن: سنة المداولة.

ولقد حوت الآية الأربعين بعد المئة من سورة آل عمران أكثر من جانب من جوانب الإعجاز القرآني، بما يلفت النظر ويأسر الفكر والقلب، ويجعل القارئ مشدودًا للوقوف أمامها والإفادة منها.

وأبرز هذه الجوانب الإعجاز البياني والإعجاز السنني، وطلبًا للإفادة مما في هذه الآية والانتفاع بها جاءت فكرة هذه الدراسة.

الإطار التنظيري للدراسة:

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة في هذا الموضوع إلى كشف النقاب عما تحويه هذه الآية من أسرار، رجاء زيادة التبصر والانتفاع بها من قبل كاتب هذه السطور قبل قارئها، كما تهدف إلى بيان جوانب الإعجاز البياني والسنني فيها، وأهمية دراسة هذه الجوانب، وموقف المسلم منها.

أسباب الدراسة:

نبعت فكرة هذه الدراسة، لعدة أسباب، منها:

١- طلب التعمق في معرفة أسرار هذه الآية، والرغبة في إبرازها للانتفاع بها.

٢- التعرف على سنة المداولة واستيضاحها؛ ومن ثم تقديمها للقارئ، ووجوه الإعجاز السنني في الآية.

٣- أهمية فهم سنة المداولة؛ لما قد يترتب على ذلك من نجاة الإنسان أو هلاكه.

٤- العودة الحقيقية في تصوراتنا وأفكارنا وقضايانا إلى الاغتراف من معين القرآن ونبعه، والوقوف عند حده وبيانه كما مضى سلف الأمة.

يضاف إلى ذلك كله القيمة العلمية لدراسة آية بعينها والتعمق فيها، علاوة على أنني لم أعثر -فيما قرأت- على أحد تناول هذه الآية قبل ذلك بمثل هذه الدراسة المفصلة.

منهج الدراسة:

يستخدم الدارس المنهج الجمعي الاستقرائي فالتحليلي الاستنباطي، حيث يتتبع ما ورد في هذه الآية عند المفسرين، وكذلك الآيات المجاورة لها سابقة أو لاحقة ـ قدر استطاعته ـ وقد راعى ما يأتي:

- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وذكر اسم السورة ورقم الآية منها.
- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية، مع الاقتصار على الصحيح أو الحسن منها.

الدراسات السابقة:

كل ما كُتب في هذه الآية إما من قبيل التفسير التحليلي، باعتبارها آيةً من آيات سورة آل عمران، وإما من قبيل التفسير الموضوعي للسورة بأكملها، أما عن الإعجاز السنني فقد كتب الأستاذ الدكتور محمد أمحزون عن الإعجاز السنني في القرآن الكريم، وهو عن الإعجاز السنني بوجه عام، وكذلك كتب الدكتور حسني حمدان الدسوقي عن الإعجاز السنني في القرآن الكريم بوجه عام – أيضًا- إلا أني لم أقرأ ولم أتوصل إلى أحد سبقني إلى الكتابة في دراسة مفصلة لهذه الآية بعينها، اللهم إلا بعض المقالات على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) تتحدث عن سنة المداولة وأوقات النصر والهزيمة للأمة الإسلامية حديثًا سطحيًا.

تساؤلات الدراسة:

- ما المقصود بالإعجاز القرآني، وما المقصود بالإعجاز البياني والسنني؟
- كيف أتعرف على هذه الآية وما تحمله من أسرار ؟
- ما الذي تحمله هذه الآية من إعجاز بياني أو سنني ؟
- هل هناك أهمية لدراسة أسرار هذه الآية ؟
- ما واجب الفرد المسلم بعد دراسته تلك الأسرار ؟

خطة الدراسة:

- يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة.
- أما المقدمة فتلك التي نحن بصددها وبها الإطار التنظيري للدراسة.
- والتمهيد في مفهوم الإعجاز القرآني، ومفهوم المعجزة.

المبحث الأول: في الإعجاز البياني في الآية الكريمة، وفيه أربعة مطالب:

الأول: الحديث عن معنى الآية وسياقها ومناسبتها.

الثاني: الجوانب اللغوية.

الثالث: الجوانب البيانية.

الرابع: جوانب القراءات.

المبحث الثاني: الإعجاز السنني في الآية الكريمة، وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: مفهوم السنة والإعجاز السنني.

الثاني: سنة المداولة ووجوه الإعجاز السنني في الآية.

الثالث: فوائد العلم بسنة المداولة.

المبحث الثالث: أهمية دراسة الجوانب الإعجازية في الآية، وموقف المسلم منها، وفيه مطلبان:

الأول: أهمية دراسة الجوانب الإعجازية في الآية.

الثاني: موقف المسلم بعد دراسته هذه الجوانب.

وأخيرًا خاتمة البحث، وشملت أهم نتائجه، ثم فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

***

التمهيد

مفهوم الإعجاز القرآني والمعجزة

أ. الإعجاز القرآني:

الإعجاز لغةً واصطلاحًا:

معنى الإعجاز: الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان أي فاتني، وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، فنجد في كتب اللغة واللسان العربي معنى العجز يدور حول (الضعف) ويقولون إن أصله في لغة العرب:- التأخر عن الشيء والقصور عن فعله، فهو ضد القدرة وأعجزت فلانًا، وعجزته وعاجزته: جعلته عاجزًا، ومصدر عَجَز: الإعجاز، ومنه اشتقت كلمة (معجزة) وهي اسم الفاعل منه لحقته التاء للمبالغة (١).

وأما الإعجاز في الاصطلاح: فهو الإتيان بناقض العادة الخارج عن طوق مَن هو مثل صاحب المعجزة في الخلقة (٢).

وهُوَ: الْمَرْتَبَةُ الَّتِي يَعْجِزُ الْبَشَرُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا وَلَا تَدْخُلُ عَلَى قُدْرَتِهِ قَطْعًا (٣).

أما المعجزة فيدور تعريفها عند أهل العلم على أنها أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة(٤).

---

(١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، باب الزاي، فصل العين، (مادة: عجز)، (٥/ ٣٦٩)، ط: دار صادر- بيروت، ط: أولى.١٤١٤ه، المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني، (مادة: عجز) ط: دار المعرفة، بيروت، ص٤٢٠.

(٢) دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيرِ الآيِ والسُّوَر، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، (١/ ١٢٤)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي- مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا،(١٢/ ٧٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، ط: المطبعة الميمنية، القاهرة١٣١٧هـ، ٢/ ١١٦، ومجموع الفتاوى لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم-شيخ الإسلام-، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، وابنه محمد، طبع بإشراف: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ط: أولى١٣٩٨هـ، ١١/ ٣١١-

وتناولهم لها ما بين مطول في التعريف ومختصر له.

فيعرفها المناوي والجرجاني بأنها: أمر خارق للعادة، يدعو إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله[1].

ويرى ابن خلدون أن المعجزات أفعال يعجز البشر عن مثلها، فسميت بذلك معجزة، وليست من جنس مقدور العباد، وإنما تقع في غير محل قدرتهم[2].

إذن نستنبط من أقوال العلماء أن المعجزة:

أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، يظهره الله على يد الرسول أو النبي، تصديقًا له في دعواه، مع عدم تمكن المرسل إليهم من معارضته.

وبيان هذا، أن لله في هذا الكون قوانين، ألفها البشر، وجرت بها العادة، بحيث صار من المستحيل في حكم العادة خرقها، من قبل أي إنسان كان، مهما أوتي من القوة، أو بلغ من العلم.

فإذا ما جاء إنسان، وادعى أنه مرسل من عند الله، بدليل أنه قادر على خرق هذه الأحكام العادية، علمنا يقينًا صدقه في دعواه، بدليل خرقه لهذه القوانين، التي لا يمكن خرقها لأي إنسان، إلا إذا أذن له بذلك خالقها، فإذا ما خرقها علمنا أن هذا الخرق، إنما هو بقدرة الله، لا بقدرة البشر، وعلمنا أن هذا المدعي صادق في دعوى الرسالة، بهذا الدليل اليقيني الذي لا يمكن أن يفعل إلا بقدرة الخالق.

=٣٣٥، والإعجاز العلمي في السنة النبوية صالح بن أحمد رضا، ط: مكتبة العبيكان بالرياض ط: أولى ١٤٢١/ ٢٠٠١م، ١/ ١٧.

(١) التعاريف (التوقيف على مهمات التعاريف)، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، (١/ ٣٠٩)، ط: عالم الكتب، القاهرة ط: أولى١٤١٠هـ، والتعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، (١/ ٢١٩)، ـ ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى١٤٠٣هـ تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر.

(٢) مقدمة تاريخ ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ط: دار الجيل، بيروت، ص٩٠.

كإحياء الميت الذي جرت العادة في أنه يستحيل أن يرجع إلى الحياة ثانية، فإذا ما جاء إنسان، وتمكن من إحيائه ثانية، فعاد حيًا يتكلم، يسأل ويجيب، علم على القطع أن هذا الإنسان صادق في دعواه للنبوة والرسالة، وإلا لما استطاع أن يعمل مثل هذا العمل الذي يستحيل في حكم العادة عمله، كما حدث لنبي الله عيسى-عليه السلام-.

إلى آخر ما هنالك من المعجزات التي يجريها الله على أيدي أنبيائه ورسله، تصديقًا لهم في دعواهم النبوة أو الرسالة أمام من أرسلوا إليهم.

ويشترط في هذه المعجزة أن تكون مقرونةً بالتحدي، يظهرها الله على يد الرسول كلما دعت الحاجة إليها، يتحدى بها المرسل إليهم أن يأتوا بمثلها، ليظهر عجزهم عن معارضتها، ويثبت دعواه في نبوته ورسالته، إذ لو تمكن الناس من معارضتها، والإتيان بمثلها، لما كانت خارقه للعادة، ومن ثم لما كانت معجزة، ولما كان المدعي صادقًا في دعواه، وكذلك الأمر لو لم يتمكن من إظهارها كلما دعت الحاجة إليها، وطولب بها لتدل على صدقه فيما أتى به"(1).

ويعدُ علماء العقيدة أن "المعجزة: علامة إلهية ودليل يقيني من قبل الله - عز وجل- يجريه على يدي رسوله-صلى الله عليه وسلم- للدلالة على رسالته، والحال أن تلك العلامة؛ وذلك الدليل إنما هما من خصائص ربوبية الرب، ومما يعجز الخلق عن مثله"(2).

معنى الإعجاز القرآني:

إعجاز القرآن "مركب إضافي" أي أنه أضيف الإعجاز إلى القرآن، فهو المعجز لا غيره. ومعناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة

(1) المعجزة القرآنية (الإعجاز العلمي والغيبي) د/ محمد حسن هيتو، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص١٦،١٧.

(2) هداية القرآن في الآفاق والأنفس وإعجازه العلمي لمحمد إبراهيم شريف، ط: مطبعة المدينة، دار السلام، القاهرة، عام١٩٨٦م، ص٢٨.

المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به.

"ولكن التعجيز المذكور ليس مقصودًا بذاته، بل المقصود لازمه؛ وهو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق، وأن القرآن قد أُنْزِلَ عليه من لدنه -سبحانه- خالصًا نقيًّا لم تَشُبْهُ شائبة من كلام البشر ولا من كلام غيرهم"(١).

وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز، ولكن للازمه، وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله، فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى الإيمان بأن مصدرها الإله القادر، وفي هذا إرشادهم إلى تصديق من جاء بها ليسعدوا باتباعه في الدنيا والآخرة، وهكذا شأن القرآن الكريم -معجزة النبي الكبرى- إذ إن إعجازه أصدق وأقوى دليل على أنه كلام الحكيم العليم، اللطيف الخبير، أوحى به إلى نبيه ومصطفاه محمد-ﷺ-(٢).

وإعجاز القرآن من مقاصده: إظهار صدق النبي-ﷺ- في دعوى الرسالة، بإظهار عجز العرب عندئذ عن معارضته - ﷺ - في معجزته الخالدة، وهي (القرآن الكريم) وكذلك عجز

---

(١) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، (ص٣٤٦)، دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ،١٩٩٩م.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزر قاني، (٢/ ٢٣٢)،ط: دار الفكر، بيروت، ط: الأولى١٩٩٦م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

الأجيال القادمة من بعدهم إلى ما شاء الله تعالى(1).

وإعجاز القرآن الكريم معناه: إعجاز الخلق قاطبة عن الإتيان بشيء من مثله، يقول القرآن مظهرًا ذلك: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨](2).

ومرتبة إعجاز القرآن تَشْتَمِلُ عَلَى شَيْئَيْنِ: أحدهما: الطَّرَفُ الْأَعْلَى مِنَ الْبَلَاغَةِ، أَعْنِي: مَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ الْبَلَاغَةُ وَلَا يُتَصَوَّرُ تَجَاوُزُهَا إِيَّاهُ، والآخر: مَا يَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ الطَّرَفِ، أَعْنِي الْمَرَاتِبَ الْعليا الَّتِي تَتَقَاصَرُ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةُ عَنْهَا أَيْضًا، وَمَعْنَى إِعْجَازِ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ بِأَسْرِهَا، هُوَ كَوْنُهَا مِمَّا تَتَقَاصَرُ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا(3).

- ونستطيع أن نستخلص تعريفًا لإعجاز القرآن الكريم بأنه: تحدي القرآن الكريم الخلق قاطبة عن الإتيان بمثل القرآن، أو بشيء من مثله، وذلك لإظهار صدق النبي محمد -ﷺ- في دعوى رسالته، وفي معجزة القرآن الخالدة.

***

(1) نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد، (١/ ١٠١)، دار السلام، القاهرة، الطبعة: الثانية: ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

(2) السماء في القرآن الكريم (من آيات الإعجاز العلمي) زغلول راغب محمد النجار، ط: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:ثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م، ص٦٥،٦٦،٦٧.

(3) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا،(١٢/ ٧٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م.

المبحث الأول

الإعجاز البياني في الآية الكريمة

توطئة في مفهوم الإعجاز البياني:

في الصفحات السابقة انتهينا إلى أن الإعجاز القرآني يقصد به: تحدي القرآنُ الكريم الخلقَ قاطبةً عن الإتيان بمثل القرآن، أو بشيء من مثله، لإظهار صدق النبي في دعوى رسالته، وفي معجزة القرآن.

ومن هنا فمن أسس البحث أن نتعرف على الإعجاز البياني قبل الحديث عنه في الآية الكريمة، وكذلك على التفسير البياني لقرب المعنى بينهما.

فالبيان عرفه الجرجاني بأنه: عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع، كما عرفه بأنه إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستورًا قبله[1].

والفصاحة: في اللغة هي الإبانة والظهور، من قولهم: "أفصح الصبح"، إذا ظهر. واللفظ الفصيح هو الظاهر[2].

وفي الاصطلاح: هي ظهور الألفاظ مع حسنها[3].

وقال عنها الجرجاني: وهي في المفرد: خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس، وفي الكلام: خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات مع فصاحتها[4].

---

(١) التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، ضبط وتحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (١/ ٤٧)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: أولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٢) القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (١/ ٢٣٤)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥م.

(٣) علم البديع، لعبد العزيز عتيق، (١/ ٥٠) دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د. ت).

(٤) التعريفات، للجرجاني، (١/ ١٦٧).

وبهذا يتضح لنا أن البيان لم يعد مجرد إظهار المعنى؛ وإنما تعداه إلى إيضاح المستور، فهو يتعدى الإبانة المجردة إلى الإبانة مع حسن المعنى المراد إبانته وتجميله، وهو نفسه عين الفصاحة.

أما عن التفسير البياني:

فالتفسير هو: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد- ﷺ- وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه(١).

فالتفسير البياني هو: التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني.

إذن فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية، كالتقديم والتأخير والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير(٢).

أما الإعجاز البياني فهو الدقة في اختيار كلمات القرآن الكريم وجمله وآياته، وترتيبها بصورة بديعة، حيث تظهر الفصاحة والبلاغة والبيان بصورة يفهمها القارئ ويسهب في تدبرها.

ويراد به إعجاز القرآن الكريم في نظمه وألفاظه، حيث جاء بأحسن الألفاظ مُضمنًا أحسن المعاني، ويمتاز عن غيره من أنواع الإعجاز بكونه موجودًا في القرآن الكريم جميعه من أول لآخره.

وبناء على ما سبق من تعريف التفسير البياني والإعجاز البياني؛ يتضح لنا وجه التقارب بينهما، فبيان أسرار التعبير من الناحية الفنية يستتبع اختيار كلمات القرآن الكريم وجمله وآياته، وترتيبها بصورة بديعة، وهو عين الإعجاز البياني.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، (١/ ١٣)، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ،١٩٥٧م.

(٢) على طريق التفسير البياني، (١/ ٧)، لفاضل صالح السامرائي، ط: جامعة الشارقة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

فالعلاقة بينهما من قبيل علاقة اللازم والملزوم، فالإعجاز البياني لازم للتفسير البياني. والله أعلم.

***

المطلب الأول

الحديث عن معنى الآية وسياقها ومناسبتها

معنى الآية الكريمة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾[آل عمران: ١٤٠] أي: (إن كنتم قد أصابتكم جراحٌ وقُتل منكم طائفةٌ، فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[آل عمران: ١٤٠] أي: نُديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت العاقبة لكم لما لنا في ذلك من الحكم؛ ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ﴾[آل عمران: ١٤٠] ومداولة الأيام: تصريفها بينهم فَنُدِيلُ تَارَةً لِهَؤُلَاءِ وَتَارَةً لِهَؤُلَاءِ، فَالْمُدَاوَلَةُ بِمَعْنَى الْمُعَاوَرَةِ، يُقَالُ: دَاوَلْتُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ فَتَدَاوَلُوا، تَكُونُ الدَّوْلَةُ فِيهِ لِهَؤُلَاءِ مَرَّةً وَهَؤُلَاءِ مَرَّةً، وَدَالَتِ الْأَيَّامُ دَارَتْ[1]، وَالْمَعْنَى: أَنَّ مُدَاوَلَةَ الْأَيَّامِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي الِاجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ، فَلَا غَرْوَ أَنْ تَكُونَ الدَّوْلَةُ مَرَّةً لِلْمُبْطِلِ وَمَرَّةً لِلْمُحِقِّ، وَإِنَّمَا الْمَضْمُونُ لِصَاحِبِ الْحَقِّ أَنْ تَكُونَ الْعَاقِبَةُ لَهُ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ)[2].

قال الطبري: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[آل عمران: ١٤٠]، أيام بدر وأُحد، ويعني بقوله: ﴿ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[آل عمران: ١٤٠]، نجعلها دُوَلاً بين الناس مصرَّفة، ويعني بـ"الناس"، المسلمين والمشركين، وذلك أن الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين، وأدال المشركين من المسلمين بأُحد، فقتلوا منهم

---

(١) انظر معنى المداولة في لسان العرب، لابن منظور، مادة (دول)، باب اللام فصل الدال، (١١/ ٢٥٣).

(٢) تفسير المنار، (٤ / ١٢٢)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

سبعين، سوى من جرحوا منهم، يقال منه: "أدال الله فلانًا من فلان، فهو يُديله منه إدالة"، إذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المُدَال منه[1].

ويقول ابن كثير: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ..﴾[آل عمران:١٤٠] يعني: يُقْتَلُون في سبيله، ويَبْذُلون مُهَجهم في مرضاته.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٤١﴾[آل عمران: ١٤١:١٤٠] أي: يكفر عنهم من ذنوبهم، إن كان لهم ذنوب وإلا رُفعَ لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به، وقوله: ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٠] أي: فإنهم إذا ظفروا بَغَوا وبَطروا فيكون ذلك سَبَبَ دمارهم وهلاكهم ومَحْقهم وفنائهم[2].

وأصل التمحيص تخليص الشيء من كل عيب.

يقال: محصت الذهب إذا أزلت خبثه، ... وفي كل من التمحيص والمحق- إزالة إلا أن في الأول إزالة الآثار وإزاحة الأوضار، وفي الآخر إزالة العين وإهلاك النفس، وأصل المحق تنقيص الشيء قليلاً قليلاً، ومنه المحاق والمعنى، ويهلك الكافرين، ولا يبقي منهم أحدًا ينفخ النار[3].

دلالة السياق ومناسبة الآية:

المتأمل في سياق الآية وما سبقها وما لحقها من آيات يدرك أن الآية وردت في إطار الحديث عن موقعتي بدر وأحد وما حصل للمؤمنين فيهما، وتثبيت الله– ﷻ– لهم، وأوصاف المؤمنين وجزائهم، وبيان أن العاقبة للمتقين، وعن سنن الله التي مضت فيمن سبقوهم، والتي من

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، (٧/ ٢٤٠)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، طبعة: ثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، (٢/ ٢٨٤).

أبرزها سنة التداول، فواجب المسلم الاعتبار بها، وأن القرآن فيه البيان والهدى والموعظة لمن يتقي ربه، ثم إيراد الآيات لسنة اللهّ في الخلق، وأن ما حصل من إصابة المسلمين بالقرح يوم أحد كان موافقًا للسنة مع بيان الحكمة فيما وقع، وفي نفس السياق يذكرهم بالشهادة التي كانوا يتمنونها قبل بدء المعركة، وفضل الرسول-ﷺ- عليهم.

أما عن مناسبة الآية لما قبلها من الآيات: "فلما نهاهم عما يعوقهم عن المسارعة من قبل الوهن الذي عرض لهم عند رؤيتهم الموت، أي بعد النهي عن المعوقات وعدم الوهن والحزن سلاهم وبصرهم بقوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ...﴾[آل عمران:١٤٠] أي مصيبة بإدالتهم عليكم اليوم ﴿ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ... ﴾[آل عمران:١٤٠] أي الذين لهم من قوة المحاولة ما قد علمتم، أي في يوم أُحد نفسه وفي يوم بدر ﴿ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ...﴾[آل عمران:١٤٠]... فهو جدير بأن يظفركم بعد وهنكم وأنتم أولياؤه، فكما لم يضعفهم وهنهم وهم على الباطل، فلا تضعفوا أنتم وأنتم على الحق.

ولما نبه على تعظيمها بأداة البعد ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ ...﴾[آل عمران:١٤٠]، وكانت إنما تعظم بعظم أحوالها ذكر الحال المنبه عليها بقوله: ﴿ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ...﴾[آل عمران:١٤٠] أي بأن نرفع من نشاء تارة ونرفع عليه أخرى.

ولما كان التقدير: ليدال على من كانت له الدولة، فيعلم كل أحد أن الأمر لنا بلا شريك ولا منازع عطف عليه قوله: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾[آل عمران:١٤٠] أي بتصديق دعوى الإيمان بنية الجهاد فيكرمهم"[1].

ولما قدم التنفير من الظلم دلالة على الاهتمام به أكمل ثمرات المداولة بقوله: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ...﴾[آل عمران:١٤١] أي وليطهر﴿ ٱللَّهُ...﴾[آل عمران:١٤١] أي ذو الجلال

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٧٩،٨٠)، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

والإكرام الَّذِينَ آمَنُوا أي إن أصيبوا، ويجعل مصيبتهم سببًا لقوتهم ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي شيئًا فشيئًا في تلك الحالتين(١).

إنّ ما حدث في وقعتي بدر وأُحد، وجزاء المؤمنين والكافرين هو سنة الله في الخلق مع بيان الحكمة في النصر والانهزام، فالحق لا بدّ أن ينتصر على الباطل مهما طال أمد وجوده، وقد جرى ذلك على أتباع الأنبياء السابقين، كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين، كما وعد الله رسله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[الصافات:١٧١- ١٧٣](٢).

وعن مناسبة الآية لما بعدها فإن الكلام كان في وقعة بدر وأُحد وما حصل للمؤمنين فيهما، وموقف الكفار وصفتهم، مع بيان صفة المؤمنين وجزائهم.

ثم بعد هذا يذكر القرآن الكريم سنة من سنن الله في الخلق، وأن ما حصل كان موافقًا لهذه السنة، ألا وهي سنة المداولة المبنية على سنة التغيير، وما يستتبع هذه السنة من اتخاذ الشهداء وتمحيص المؤمنين الصادقين، ومحق الكافرين.

***

المطلب الثاني

الجوانب اللغوية في الآية الكريمة

ونعني بالجوانب اللغوية: الجوانب التي لها صلة بالألفاظ والأساليب، والمعاني اللغوية في الآية الكريمة.

فمن يدقق النظر في الآية الكريمة يظهر له العديد من الجوانب اللغوية، والتي تمثل جانبًا من جوانب الإعجاز البياني، ومنها:

---

(١) السابق، (٥/ ٨١).

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (٤/ ٩٧)، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

أن المضارع في: ﴿ يَمْسَسْكُمْ ﴾[آل عمران: ١٤٠] لحكاية الحال لأن المساس مضَي، وأما استعمال "إن" فبتقدير كان، أي إن كان مسكم قرح، وإِنْ لا تتصرف في"كان" لقوة دلالته على المضي، أو على ما قيل: إن إِنْ قد تجيء لمجرد التعليق من غير نقل فعله من الماضي إلى المستقبل، وما وقع في موضع جواب الشرط ليس بجواب حقيقة؛ لتحققه قبل هذا الشرط، بل دليل الجواب، والمراد: إنْ كان مسكم قرح فذلك لا يصحح عذركم وتقاعدكم عن الجهاد بعد؛ لأنه قد مس أعداءكم مثله وهم على ما هم عليه(١).

- المسّ بمعنى الإصابة، والقَرح بفتح القاف في لغة قريش الجرح الظاهر المادي، وبضمِّها في لغة غيرهم الألم المعنوي.
- والنكرة هنا في لفظ﴿ قَرْحٌ ﴾[آل عمران: ١٤٠]، في سياق الشرط بأن تعم عموم البدل، ولم يأتِ معرفًا لإيهام التعيين بالعهد، ولإيهام العموم الشمولي(٢).

من الأفعال المضارعة التي وردت في الآية الكريمة فعلان في مقام التعليل هما: ﴿وَلِيَعْلَمَ، وَيَتَّخِذَ﴾، وفي الآية التي تليها فعلان آخران في نفس المقام، وهما معطوفان على الأولين، وهما: ﴿وَلِيُمَحِّصَ، وَيَمْحَقَ﴾، فاللام في﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ هي لام التعليل، ومع ذلك نجد العطف بعدها للفعل: ﴿ وَيَتَّخِذَ ﴾ بدون لام، ثم وردت ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ﴾،بالعطف وذكرت باللام، ثم قال: ﴿ وَيَمْحَقَ﴾ عطف بدون ذكر اللام، ففي هذا كله سر بين؛ وهو أن ما ذكر فيه اللام لتوكيد الحكمة من المس، وما حذفت منه اللام أقل توكيدًا.

يفصل السامرائي في هذا فيقول: وإذا استعرضنا الأفعال في الآية، فهل كلها بدرجة واحدة من التوكيد والحذف؟

فالفعل ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ الله تعالى يريد ذلك من كل شخص علـمًا يتحقق منه الجزاء لكل شخص، إذن هو أمر عام لجميع الذين آمنوا، ومن غير الذين آمنوا، فهو أمر ثابت مطلق لكل فرد من الأفراد، ﴿وَيَتَّخِذَ﴾ لا يتخذ كل المؤمنين شهداء، فهذا الفعل ليس بدرجة اتساع

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، (٢/ ٢٨٣).

(٢) البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٣/ ٤٥).

الفعل الأول، وهو ليس متعلقًا بكل فرد، أما ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ فهو متعلق بكل فرد، وهذا ما يتعلق به الجزاء، ﴿وَيَمۡحَقَ﴾ لم يمحق كل الكافرين محقًا تامًا فالكفر والإيمان موجودان.

إذن فعندما يذكر اللام على وجه العموم، فالمقصود يكون كل فرد من الأفراد والحذف عكس ذلك(١).

وقد يكون العطف في ﴿وَلِيَعۡلَمَ وَيَتَّخِذَ﴾، على جملة: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾، فتكون هذه الجملة وما بعدها من حِكَم المس.

قال الألوسي: وجوزوا أن يكون الفعل معطوفًا على ما قبله باعتبار المعنى كأنه قيل: داولت بينكم الأيام لأن هذه عادتنا وَلِيَعْلَمَ إلخ، وقيل: إن الفعل المعلل به محذوف ويقدر مؤخرًا، والتقدير، وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا فعل ذلك(٢).

- قوله: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران:١٤٠] اسم الإشارة مشار به إلى ما بعده يفيد التفخيم والتعظيم، والْأَيَّامُ بمعنى الأوقات لا الأيام العرفية، وتعريفها للعهد إشارة إلى أوقات الظفر والغلبة الجارية فيها بين الأمم الماضية والآتية، ويوما بدر وأحد داخلان فيها دخولاً أوليًا.
- قوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران:١٤١] الجملة معطوفة على يَتَّخِذَ، وتكرير اللام للاعتناء بهذه العلة. ولذلك أظهر الاسم الجليل في موضع الإضمار، أو لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض(٣).

إذن فتتمثل الجوانب اللغوية في الآية الكريمة فيما يأتي: ما يفيده الفعل المضارع ﴿يَمۡسَسۡكُمۡ﴾[آل عمران:١٤٠]، ومعنى المس والقرح، وتنكير القرح، وما تفيده الأفعال

(١) أسرار البيان في التعبير القرآني، فاضل السامرائي، كتاب على الشبكة العنكبوتية.(بتصرف).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، (٢/ ٢٨٣).

(٣) السابق، (٢/ ٢٨٤).

المضارعة في الآية، واقتران بعضها باللام، والإشارة والتعريف في: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، والعطف في جملة: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[آل عمران: ١٤١].

***

المطلب الثالث

الجوانب البيانية في الآية الكريمة

ونعني بالجوانب البيانية: الجوانب التي لها صلة بالصور والاستعارات، والكنايات والتشبيهات، والأمثال والتكرار، وغيرها في الآية الكريمة.

فمن يتأمل في الآية الكريمة يظهر له العديد من هذه الجوانب البيانية، ومنها:

- التسلية والتبشير في قوله تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ...﴾[آل عمران: ١٤٠]، والمقصود هنا أن الحق يسلّي المؤمنين: إن يمسسكم قرح فلا تبتئسوا، فليكن عندكم سُلّوٌ ولْتجتازوا هذا الأمر ولترض به نفوسكم؛ لأن القوم قد مسهم قرح مثله.

قال ابن عاشور: لفظ: ﴿قَرْحٌ﴾ هنا مستعمل في غير حقيقته، بل هو استعارة للهزيمة الَّتي أصابتهم، فإنّ الهزيمة تشبّه بالثلمة وبالانكسار، فشبّهت هنا بالقرح حين يصيب الجسد، ولا يصحّ أن يراد به الحقيقة؛ لأنّ الجراح الَّتي تصيب الجيش لا يعبأ بها إذا كان معها النصر، فلا شكّ أنّ التسلية وقعت عمّا أصابهم من الهزيمة(١).

والأسوة والتسلية، هل تأتي بما وقع بالفعل أم بما سيقع؟ إنها تأتي بما وقع بالفعل، إذن فهي تعلل تعليلاً صحيحًا: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾[آل عمران: ١٤٠](٢).

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٤/ ٩٩).

(٢) تفسير الشعراوي، الخواطر (٣/ ١٧٨١، ١٧٨٠)، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧م.

قوله: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ﴾[آل عمران:١٤٠] نبه على تعظيمها بأداة البعد، وهي تعظم بعظم أحوالها، فذكر الحال المنبه عليها بقوله: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران:١٤٠] أي بأن نرفع من نشاء تارة ونرفع عليه أخرى.

- ولما كان التقدير: ليدال على من كانت له الدولة، فيعلم كل أحد أن الأمر لنا بلا شريك ولا منازع عطف عليه.
- قوله: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:١٤٠] معنى ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ أنه يفعل فعل من يريد علم ذلك بأن يبرز ما يعلمه غيبًا إلى عالم الشهادة ليقيم الحجة على الفاعلين على ما يتعارفه الناس بينهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ، أي بأن يجعل قتلهم عين الحياة التي هي الشهادة، لا غيبة فيها، فهو سبحانه وتعالى يزيد في إكرامهم بما صدقوا في إيمانهم بأن لا يكونوا مشهودًا عليهم أصلاً بفتنة في قبورهم ولا غيرها.
- وتكرير اللام للاعتناء بهذه العلة، ولذلك أظهر الاسم الجليل في موضع الإضمار، أو لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض.
- ولما قدم التنفير من الظلم دلالة على الاهتمام به أكمل ثمرات المداولة بقوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾[آل عمران:١٤١] أي وليطهر[1].
- التَّعبير عمَّا أصاب المسلمين بصيغة المضارع في ﴿يَمۡسَسۡكُمۡ﴾ لقُربه من زمن الحال، وعمّا أصاب المشركين بصيغة الماضِي لبعده؛ لأنَّه حصل يوم بدر.
- عَبَّرَ بِالْمُضَارِعِ بَدَلَ الْمَاضِي فَلَمْ يَقُلْ "إِنْ مَسَّكُمْ قَرْحٌ" لِيُحْضِرَ صُورَةَ الْمَسِّ فِي أَذْهَانِ الْمُخَاطَبِينَ.
- بَيَّنَ الله ـ تَعَالَى ـ وَجْهَ عدم استسلامهم للحزن في الآية السابقة فَقَالَ تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ ...﴾[آل عمران:١٤٠] في أنه إذا كان قد أصابكم يوم أحد

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (٥/ ٧٨،٧٩)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

هزيمة فقد أصاب القوم يوم بدر هزيمة أشد[1].

- قوله تعالى: ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ...﴾[آل عمران: ١٤٠] ليس هو جواب الشرط في المعنى، ولكنّه د ليل عليه، أغنى عنه على طريقة الإيجاز، والمعنى: إن يمسكم قرح فلا تحْزنوا، أو فلا تهنوا وهَنًا بالشكّ في وعد الله بنصر دينه، إذ قد مسّ القومَ قرح مثله.
- المقابلة بما أصاب العدوّ يوم بدر ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ...﴾[آل عمران: ١٤٠] تعيّن أن يكون الكلام تسلية وليس إعلامًا بالعقوبة كما قاله جمع من المفسّرين[2].
- التعبير بقوله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾[آل عمران: ١٤٠] يدل على أن الله -سبحانه- هو وحده الذي يختار الشهداء، وهو أيضًا الذي يجعل قتلهم في سبيله عين الحياة التي هي الشهادة الحقيقية، لا غيب فيها، فالتعبير بلفظ ﴿وَيَتَّخِذَ﴾ فيه استعارة، فقد استعار لفظ الاتخاذ للاختيار تشريفًا لهؤلاء الشهداء.
- ورود التنفير من الظلم بين علل المداولة دلالة على شدة الاهتمام به وشدة التنفير منه[3].
- الأمور الثلاثة في قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ علل للمداولة المعهودة، وباعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لأنها المحتاجة إلى البيان. ولعل تأخير العلة الأخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين. أو لتقترن بقوله -ﷻ-: ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لما بينهما من المناسبة حيث إن في كل من التمحيص والمحق إزالةً، إلا أن في الأول إزالة الآثار وإزاحة الأوضار، وفي الثاني إزالة العين وإهلاك النفس[4].

---

(١) تفسير المنار، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٤ / ١١٩).

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٤/ ١٠٠،٩٩).

(٣) مفاتيح الغيب، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٩ / ٣٦٩).

(٤) روح المعاني، للألوسي، (٢/ ٢٨٣).

- في العلم بهذه السنة بشارة في ترغيب، بأن الله- ﷻ- لا يفعل مع الكفرة فعل المحب، لئلا يحزنوا على ما أصابهم، ونذارة في تأديب بأنهم ما أُخذوا إلا بتضييعهم الثغر الذي أمرهم به من التزموا طاعته وأمر الله بها في المنشط والمكره بحفظه، وأقبلوا على الغنائم قبل أن يفرغوا من العدو.
- صيغة المضارع ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ الدالة على التجدد والاستمرار؛ للإعلام بأن تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة إلى أن يأتي أمر الله تعالى(١).

***

المطلب الرابع

جوانب القراءات القرآنية في الآية الكريمة

مما هو معلوم أن القراءات القرآنية فرع من فروع الإعجاز البياني، إذ إن القراءات وتنوُّعها واختلاف رواتها نوعٌ من الإعجاز. وهي مما يثري المعنى ويقويه، ذلك لأن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات. وحينما تُقرأ الآية بقراءة ثم تُقرأ بقراءة ثانية، أو تقرأ بقراءة ثالثة، وفي كل منها تعطي معنى جديدًا، فهذا لون من الإيجاز الذي يعده البلاغيون أول وجه من أوجه الإعجاز.

ومفهوم القراءات القرآنية:

القراءات في اللغة: جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر قرأ يقال: قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآنا، بمعنى تلا، فهو قارئ(٢).

وفي الاصطلاح هي: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن"(٣).

---

(١) السابق، (٢/ ٢٨٤).

(٢) لسان العرب، (١/ ١٢٨)، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٣) البحر المحيط، لأبي حيان، (١/ ١٤).

والقراءات هي: "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرها"(١).

وهي: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها(٢).

والآية الكريمة التي نحن بصدد البحث فيها بها أكثر من قراءة، وبالتحديد في لفظ: ﴿قَرۡحٞ﴾ فقد قرأ شعبة وحمزة والكسائي: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ﴾[آل عمران:١٤٠]، بضم القاف(٣).

" القرح" ضم القاف شعبة والأخوان وخلف وفتحها غيرهم(٤).

"فالحجة لمن فتح أنه أراد الجرح بأعيانها، والحجة لمن ضم أنه أراد ألم الجراح، وقيل هما لغتان فصيحتان كالجَهد والجُهد"(٥).

قال الألوسي عن هاتين القراءتين: وهما لغتان، كالدف والدف، والضعف والضعف، والقَرح بالفتح الجراحة، وبالضم ألمها، ويقرأ بضم القاف والراء على الإتباع - كاليسر واليسر،

(١) البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر الزركشي، (١/ ٣١٨).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/ ٤١٢)، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني.

(٣) الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، (١/ ٢٣٨)، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م، وانظر: الكنز في القراءات العشر، (٢/ ٤٤٢)، أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين، تحقيق: خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م.

(٤) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة - القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب، (١/ ٧٣)، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، وانظر: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، (٢/ ٢٤٦)، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري، دار الكتب العلمية، بيروت، تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

(٥) الحجة في القراءات السبع، (١/ ١١٤)، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١هـ.

والطنب والطنب، وقرأ أبو السمال بفتحهما، وهو مصدر قرح يقرح إذا صار له قرحة، والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر، ثم لم يُضعِف ذلك قلوبهم، ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال، وأنتم أحق بأن لا تضعفوا، فإنكم ترجون من اللهّ تعالى ما لا يرجون(١).

ونسب صاحب المنار إلى كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ قولهم: إِنَّ الْقَرْحَ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَاحِدٌ فَهُوَ كَالضَّعْفِ فِيهِ اللُّغَتَانِ، وَمَعْنَاهُ الْجُرْحُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْقَرْحَ بِالْفَتْحِ هُوَ الْجِرَاحُ وَبِالضَّمِّ أَثَرُهَا وَأَلَمُهَا(٢)، وَرَجَّحَ ابْنُ جَرِيرٍ قِرَاءَةَ الْفَتْحِ فقال بعد أن ذكر القراءتين: وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾، بفتح "القاف" في الحرفين، لإجماع أهل التأويل على أن معناه: القتل والجراح، فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح، وكان بعض أهل العربية يزعُمُ أن"القَرح" و"القُرح" لغتان بمعنى واحد. والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا(٣).

ثم علق صاحب المنار على كلام ابن جرير هذا قائلاً: وَإِذَا كَانَ الْأَصْلُ فِيهِ عَضَّ السِّلَاحِ وَتَأْثِيرَهُ، فَلَا غَرْوَ أَنْ يَشْمَلَ الْقَتْلَ وَالْجُرْحَ وَابْنُ جَرِيرٍ ثِقَةٌ فِي نَقْلِهِ عَنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ كَنَقْلِهِ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّفْسِيرِ وَغَيْرِهِ. وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَمْنَعَ كَوْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ لُغَتَيْنِ فِي هَذَا الْمَعْنَى(٤)، وفصل الرازي في ذكر ما يتعلق بذلك فقال: وَاخْتَلَفُوا عَلَى وُجُوهٍ: **فَالْأَوَّلُ:** مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَهُمَا لُغَتَانِ: كَالْجُهْدِ وَالْجَهْدِ، وَالْوُجْدِ وَالْوَجْدِ، وَالضُّعْفِ وَالضَّعْفِ. **وَالثَّانِي:** أَنَّ الْفَتْحَ لُغَةُ تِهَامَةَ وَالْحِجَازِ وَالضَّمَّ لُغَةُ نَجْدٍ. **وَالثَّالِثُ:** أَنَّهُ بِالْفَتْحِ مَصْدَرٌ وَبِالضَّمِّ اسْمٌ. **وَالرَّابِعُ:** وَهُوَ قَوْلُ الْفَرَّاءِ أَنَّهُ بِالْفَتْحِ الْجِرَاحَةُ بِعَيْنِهَا وَبِالضَّمِّ أَلَمُ الْجِرَاحَةِ. **وَالْخَامِسُ:** قَالَ ابْنُ مِقْسَمٍ: هُمَا لُغَتَانِ إِلَّا

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، (٢/ ٢٨٢).

(٢) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٤ / ١١٩).

(٣) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (٧/ ٢٣٩).

(٤) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٤ / ١١٩).

أَنَّ الْمُفْتُوحَةَ تُوهِمُ أَنَّهَا جَمْعُ قُرْحَةٍ[1]. ، وذكر الألوسي قراءة ثانية لقوله: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ فقال: وقرئ يداولها[2].

لكنني لم أجد لهذه القراءة أصل في كتب القراءات، والله أعلم.

والخلاصة: أن لفظ: ﴿قَرْحٌ﴾ قرأها شعبة وحمزة والكسائي وخلف: بضم القاف، وقرأها غيرهم بفتحها، وهما لغتان، والقَرح بالفتح الجراحة، وبالضم ألمها، فالقراءتان أفادتا معنيين، ولكل معنى دلالته، وإبراز هذه المعاني وتلك الدلالات يعد من فروع الإعجاز البياني.

***

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (٩/ ٣٧٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(٢) روح المعاني، للألوسي،(٢/ ٢٨٤).

المبحث الثاني

الإعجاز السنني في الآية الكريمة

إذا كان مفهوم الإعجاز القرآني هو: تحدي القرآن الكريم الخلق قاطبة عن الإتيان بمثل القرآن، أو بشيء من مثله، وذلك لإظهار صدق النبي محمد - ﷺ - في دعوى رسالته، وفي معجزة القرآن الخالدة.

فإنه يجدر بنا أن نتعرض لبيان مفهوم الإعجاز السنني حتى يتسنى لنا الإشارة إلى ما يتصل بهذا الجانب في الآية الكريمة.

***

المطلب الأول

مفهوم السنة والإعجاز السنني

لفظ "السنني" نسبة إلى السنن، وعليه فنعرف بالسنن فنقول:السنة في لغة العرب: السيرة والطريقة، حسنة كانت أو سيئة، مقبولة كانت أو مرذولة(1).

وفي اصطلاح العلماء: المراد بالسنن: ما سنه الله في الأمم من وقائع(2).

وقال الرازي: السنة: الطريقة المستقيمة والمثال المتبع(3).

---

(1) انظر: لسان العرب، (مادة: سنن)، (١٣/ ٢٢٠)، لمحمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي.

(2) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، (١٣/ ١٩)، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/ الثانية ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

(3) مفاتيح الغيب، (١٥/ ٢٢)، محمد فخر الدين الرازي.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يعرفها بأنها: هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، ولهذا أمر الله ـ تعالى ـ بالاعتبار فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[يوسف: ١١١](١).

وعند صاحب المنار: السنة هي النظام الذي جرى عليه أمر الأمم، وإن ما يقع للناس في كل زمن من الأزمان، وفي كل مكان من الوجود في شؤون اجتماعهم وحياتهم مطابق لتلك السنن التي لا تتحول ولا تتبدل(٢).

ومن تعريفات المعاصرين يقول الدكتور عبد الكريم زيدان:

هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر، بناءً على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة(٣).

وعن ربط المادة اللغوية لكلمة سنة بالمعنى الدلالي لها قال صاحب المنار: السنن جمع سنة، وهي الطريقة المعبدة، والسيرة المتبعة أو المثال المتبع، من قولهم: سن الماء إذا والى صبه، فشبهت العرب الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب، فإنه لتوالي أجزائه على نهج واحد يكون كالشيء الواحد(٤).

وبعد ذكر هذه التعريفات نستطيع أن نقول: إن السنن الإلهية تعني: أحكام الله-تعالى- وقوانينه التي تجري باطراد وثبات، وعموم وشمول، بلا تبدل ولا تحول، مرتبة على سلوك البشر، وفق مشيئة الله وعدله وحكمته في مخلوقاته.

---

(١) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (٣/ ٢٦٧)، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، وابنه محمد طبع بإشراف: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ط/ الأولى١٣٩٨هـ.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٤/ ١٤١)، ط/ دار المعارف، بيروت، لبنان.

(٣) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، (ص١٣)، ط:/ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الثالثة،١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٤/ ١١٤)، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/ ١٩٧٣م.

وعليه فإن المراد بالإعجاز السنني هنا: الإعجاز الوارد في الآية الكريمة مما يتعلق بأحكام الله وقوانينه المطردة المرتبة على سلوك البشر، وفق مشيئة الله وعدله وحكمته في مخلوقاته.

ومع أن مصطلح "الإعجاز السنني" غير متداول عند الكثيرين، حتى بين دارسي علم السنن والكاتبين فيه، إلا أنه لا مانع أن يُستخدم في مثل هذه الدراسات للفت الأنظار إلى السنة التي تتحدث عنها الآية الكريمة، ومثلها ما في الآيات الأُخر من سنن، ومن ثَم الانتفاع بها في الحياة العملية.

وقد ورد لفظ "سنة" ومشتقاتها في القرآن الكريم ست عشرة مرةً، ضمن إحدى عشرة آية، في عشر سور(١).

ووجود السنن الإلهية في هذه الحياة أكبر دليل على قدرة الله تعالى وتسييره لهذا الكون، إذ إن هذه الحياة تسير بدقة تامة، وبثبات واطراد، دونما خلل أو اضطراب.

وقد دلّنا القرآن الكريم على هذه السنن أو تلك القوانين في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾[يس: ٣٨-٤٠]، ومنها كذلك قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾[آل عمران:١٣٧].

(١) هذا الموضوع بحث تفصيلاً في دراسة سابقة بعنوان: سنة الله في الترف والمترفين، بحث منشور في دورية كلية دار العلوم، جامعة المنيا، العدد: (إصدار خاص ٢٠٠٨م)

"والمراد بذلك أن مشيئة الله في خلقه تسير على سنن حكيمة من سار عليها ظفر، وإن كان ملحدًا أو وثنيًا، ومن تنكبها خسر وإن كان صديقا أو وليا"(١).

وعلى الإنسان أن يتعرف على هذه السنن بالنظر والتفكر والتأمل للوصول إلى تلك السنن والقوانين التي تحكم هذا العالم وتسيره وفق مشيئة خالقها ومُجريها، فمن يتأمل في سعادة الناس وشقاوتهم، وعزهم وذلهم، وضعفهم وقوتهم، وما إلى ذلك من أحوال الناس أفرادهم وأممهم يوقن ذلك تمامًا.

ودراسة سنن الله تعالى لها من الأهمية ما لها، إذ إن معرفتها معرفة للدين أو معرفة لجزء من الدين، فهذه المعرفة من الواجبات الدينية؛ لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة، حتى لا نقع في الخطأ والعثار والغرور والأماني الكاذبة، وبذلك ننجو ممّا حذّرنا الله منه، ونظفر بما وعد الله به عباده المؤمنين المتقين.

وهي تعريف ببعض حقائق الإسلام العظيم ومعانيه وقوانينه الثابتة، لا ليخزنوا هذه المعرفة في رؤوسهم؛ وإنما ليجعلوها محركًا ودافعًا لنفوسهم للعمل الجدّي الصحيح الدؤوب الصامت وفقًا لمقتضيات سنن الله في التبديل والتحويل من السيىء إلى الحسن، ومن حياة الذل إلى حياة العز، ومن التبعية الذليلة المهينة للطواغيت والكفرة والفجرة، إلى حيث أراد الله تعالى للمؤمنين من العزّة والكرامة والقيادة للبشر جميعاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[المنافقون:٨].

والمسلمون المتمسكون بدينهم المستيقنون بربهم هم أولى الناس بمعرفة تلك السنن في الأفراد والأمم، وأجدر الناس بالسير على هديها وتطبيقها تطبيقًا كاملاً في كل أحوالهم.

***

(١) تفسير المراغي، (٤/ ٧٦)، أحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ، ١٩٤٦م

المطلب الثاني

سنة المداولة ووجوه الإعجاز السنني

سنة المداولة في الآية الكريمة: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[آل عمران:١٤٠].

لا يخفى على كل متأمل في الآية الكريمة أنها تدلنا دلالة واضحة على سنة من سنن الله في خلقه، ألا وهي سنة المداولة، وتحديدًا في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[آل عمران:١٤٠].

فما معنى المداولة؟ وما مفهوم هذه السنة ؟ وما دلالتها في الآية؟

وللإجابة عن كل تلك الأسئلة نستعين بالله ونقول:

معنى المداولة:

داولَ يُداول، مَداوَلةً، فهو مُداوِل، والمفعول مُداوَل، وداول اللهُ الأيَّامَ بين النَّاس: جعلها متبادلة تارة لهؤلاء وتارة لأولئك: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران:١٤٠] نصرفها بينهم وننقلها من واحد إلى آخر(١).

والمداولة في الاصطلاح:

حصول الشيء تارة في يد هذا، وتارة في يد هذا(٢).

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، (١/ ٧٨٧)، أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، (١/ ٩٣)، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ،١٩٩٠م.

وأصل المداولة نقل الشيء من واحد إلى آخر، يقال: تداولته الأيدي إذا انتقل من واحد إلى آخر(١).

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ علل للمداولة المعهودة، وباعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر؛ لأنها المحتاجة إلى البيان، ولعل تأخير العلة الأخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين، أو لتقترن بقوله -ﷻ-: ﴿ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

معنى المداولة في الآية الكريمة: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

سنة المداولة:

بمعنى قانون الله أو طريقته في تداول أحوال البشر من شدة إلى رخاء ومن رخاء إلى شدة، ومن نصر إلى هزيمة، ومن هزيمة إلى نصر، ومن يسر إلى عسر، ومن عسر إلى يسر، إلى غير ذلك من مظاهر تقلبات الأحوال وتغيير المواقف وتداول المواقع، حسب تغير أحوال الناس أو ثباتها، وذلك حتى تظهر مواقف الناس، وتنكشف بواطن ما في صدورهم وفي هذه السنة يقول الله - ﷻ-: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٠].

"أي ونديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة لما لنا من الحكمة، ومن هذه الحكمة: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ومنها: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ بأن يُقتلوا في جهادهم لأهل الباطل، ومنها: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ومنها: ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾. فعل ذلك من وجوه الحكمة كالسبب والعلّة في تلك المداولة، أي في غلبة العدو"(٢).

(١) روح البيان، (٢/ ١٠٠)، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، الناشر: دار الفكر، بيروت، وانظر: تفسير المراغي، (٤/ ٧٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢/ ٢٠٨)، ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، (٩/ ١٤).

"فالأيام في الآية الكريمة أوقات الظفر والفوز، ومداولتها بين المؤمنين وأعدائهم: أي تحويل الظفر والغلبة بينهم مرّة للمؤمنين ومرّة لأعدائهم، فهذه المداولة سنّة من سنن الله في تدافع أهل الحق مع أهل الباطل، فلا عجب أن تكون الدولة مرّة للمبطل ومرّة للمحق؛ لأن المضمون والمؤكد لصاحب الحق أن تكون العاقبة له، والأعمال بالخواتيم"(١).

وليس المراد من هذه المداولة: أن الله تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين، وذلك لأن نصره تعالى منصب شريف، فلا يليق بالكافر؛ بل المراد أنه تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار، وأخرى على المؤمنين(٢).

فلم تتضمن المداولة بين المؤمنين والكافرين، ولكنها مداولة بين الذين مالت أبصارهم إلى الغنائم فتخلخل إيمانهم، ففازت قريش ظاهريًا، فلو ظللتم على إيمانكم لما حدث ذلك أبدًا، لكنكم تخليتم عن منهج ربكم، وبذلك استويتم وتساويتم مع غير المؤمنين، وبذلك تكون الأيام لذلك مرة، ولهذا مرة أخرى، إنها مطلق العدالة(٣).

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١٤٠]: فنجعل للباطل دولة في يوم، وللحق دولة في أيام، والعاقبة والنصر في النهاية للمتقين الصابرين، كل ذلك ليستقر العدل ويعم النظام، وليتحقق إيمان المؤمنين ويظهر واضحًا(٤).

وإن كانت هذه الآية الكريمة قد نزلت في أعقاب غزوة أحد، ليتبين للمؤمنين سنة الله -ﷻ- في النصر والهزيمة، وإن كانت العاقبة والمحصلة النهائية للمؤمنين، والنصر موعود لهم، ولكن هناك حكمة تقتضي أن يذوق المؤمنون طعم الهزيمة، ومداولة الأحوال لا تقتصر على تعاقب النصر والهزيمة، فإن اختلاف الأحوال والظروف التي يمر بها الإنسان تدخل في

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٤/ ١٤٧).

(٢) روح البيان، (٢/ ١٠٠)، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، الناشر: دار الفكر، بيروت.

(٣) تفسير الشعراوي، الخواطر (٣/ ١٧٨١،١٧٨٠)، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧م.

(٤) التفسير الواضح، (١/ ٢٨٦).

إطار هذه السنة، ولهذا فعند المفسرين أن معنى نداولها بين الناس: من فرح وغم وصحة وسقم وغنى وفقر إلى غير ذلك.

ثم إن وعد الله للمؤمنين بالنصر لا يعني أن الأمر سيجري وفق أهوائهم، وأن الثمرة ستأتي على ما يشتهون، كلا. بل إن حكمة الله تقتضي بأن تتربى النفوس المؤمنة على تحمل نتائج الأخطاء، وأن تتعلم بأن المعصية تبعدهم عن رحمة الله وتوفيقه وعونه، فليس من الصدفة أو المجازفة ما يحصل في حياة البشر من تغييرات في أحوالهم، فإن وراء ذلك إرادة ومشيئة إلهية ذات حكمة بالغة على الإنسان أن يعرفها ويفقهها(١).

وقد بيّن الله تعالى أن المؤمنين الذين يصيبهم قرح، أي جراحات بسبب القتال يجب أن لا يُضعِف ذلك هِمتَهم واجتهادهم في جهاد العدو؛ لأنه كما أصابهم قرح فقد أصاب عدوهم مثله قبل ذلك، وعدوهم لم يفتروا لما أصابهم من القرح من محاربتكم مع كونهم مبطلين وسوء عاقبتهم، فأنتم أيها المؤمنون أهل الحق أولى أن لا تضعفوا ولا تفتروا عن مجاهدة ومحاربة هؤلاء الأعداء المبطلين(٢).

ولكن يجب أن يُعرف بأن المداولة في الواقع مبنية على أعمال الفريقين، فتكون الغلبة لمن عرف أسبابها ورعاها حق رعايتها، فإذا كانت المداولة في النصر والغلبة بين الفريقين منوطة بالأعمال التي تفضي إليها، كالاجتماع والثبات، وصحة النظر وقوة العزيمة، وأخذ الأهبة وإعداد ما يستطيع من القوة، فعلى المؤمنين أن يقوموا بهذه الأعمال ونحوها، من مستلزمات الغلبة والنصر، حتى تكون المداولة لهم لا لعدوهم(٣).

ويوجز الطبري المراد من المداولة في الآية في روايته بسنده عن عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: "وتلك الأيام نداولها بين الناس"، فأظهر الله – عز وجل – نبيه – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه على المشركين يوم بدر، وأظهر عليهم عدوَّهم يوم أُحُد. وقد يدال الكافر من

(١) موسوعة فقه الابتلاء، علي بن نايف الشحود، (٤/ ١٨٣)، على موقع: الموسوعة الشاملة.

(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، (٩/ ١٤).

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٤/ ١٤٨).

المؤمن، ويبتلى المؤمن بالكافر، ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه، ويعلم الصادق من الكاذب، وأما من ابتلى منهم – أي من المسلمين- يوم أحد، فكان عقوبة بمعصيتهم رسول الله – ﷺ –(1).

ارتباط سنة المداولة بسنة التغير:

من رحمة ربنا-ﷻ- بنا أن ثبّت في الأرض سننًا لا تتغير ولا تتبدل، وبدراسة التاريخ نفقه هذه السنن.

وهنا يضع الله -ﷻ- أيدينا على سر عظيم، وهو ارتباط المداولة بين الأمم والدول والمجتمعات مع التغيير النفسي والذاتي في الأمة؛ فسقوط الحضارات ونهوضها، والأمم في ارتفاعها وهبوطها، مرتبطة بهذا التغيير النفسي في مسارها عبر التاريخ والحاضر والمستقبل، وهي سُنَّة ماضية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال:٥٣].

فليس هناك أمة تسيطر على مقدرات البشر، أو تتحكم فيهم إلا المؤمنين العادلين -بأمر ربهم- وهذا إذا استمروا في إيمانهم وعدلهم، وهذا يستلزم ألا يظلموا أحدًا حتى ولو من عدوهم، فإذا حادوا وظلموا دالت عليهم، وغير الله ما بهم من النعم، وعليه فإن التغيير قانون يسيطر على حياة البشر، وهو مرتبط بنتائج أعمالهم وتصرفاتهم.

إذن فارتباط سنة المداولة بسنة التغير ارتباط وثيق، ذلك أن سنة التغير لازمة لسنة المداولة، والثانية ملزومة للأولى، فتحوله لقوم لا يحدث هباءً، وإنما حينما يتحول هؤلاء القوم عن طاعة الله أو يقصروا في أوامره -سبحانه- أو يطغوا بنعم ربهم، أو يتجبروا بها، حينها يغير الله حالهم، ويحولهم عما هم عليه.

(١) جامع البيان، للطبري، (٧/ ٢٤٠).

وجه الإعجاز السنني في القرآن الكريم:

يقول محمد أمحزون في إشارته إلى ذلك: ووجه الإعجاز في هذا الجانب: إن المفهوم القرآني للسنن الاجتماعية يعدُ فتحًا عظيما للقرآن الكريم، لأنه أول كتاب عرفه الإنسان أكد على وجود علاقات وروابط بين الأسباب والمسببات، والمقدمات والنتائج، التي تعدُ في الحقيقة تعبيرًا عن حكمة الله تعالى وحسن تقديره وبنائه التكويني للساحة التاريخية والاجتماعية(1).

وجوه الإعجاز السنني في الآية الكريمة.

من دراستنا لسنة التداول في الآية نخلص إلى أن وجوه الإعجاز السنني في الآية الكريمة تتلخص في نقاط عدة، وهي:

- المداولة في الواقع مبنية على أعمال الفريقين، فتكون الغلبة لمن عرف أسبابها ورعاها حق رعايتها، كالاجتماع والثبات، وصحة النظر وقوة العزيمة، وأخذ الأهبة وإعداد ما يستطيع من القوة(2).
- ارتباط المداولة بين الأمم والدول والمجتمعات مع التغيير النفسي والذاتي في الأمة؛ فسقوط الحضارات ونهوضها، والأمم في ارتفاعها وهبوطها، مرتبطة بهذا التغيير النفسي في مسارها.
- الأمة الإسلامية يكون لها النصر وتكون لها الغلبة إذا استمرت في إيمانها وعدلها، فإذا حادت وظلمت أدال الله عليها الأيام، وغير ما بها من النعم.
- سنة التغير لازمة لسنة المداولة، والثانية ملزومة للأولى.
- الشهادة اختيار أساسه الإخلاص والتقوى.

***

(1) الإعجاز السنني في القرآن الكريم، محمد أمحزون، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الكويت ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، وهو منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة التابع لرابطة العالم الإسلامي.

(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٤/ ١٤٨) (بتصرف).

المطلب الثالث

فوائد سنة المداولة في الآية الكريمة

كما أنه لكل أمر في دين الله نفع للبشرية، وتعالى الله أن يكون في دينه أو في شريعته أمرًا عبثًا، لذا؛ فإن لسنة المداولة فوائدَ جمةً قد لا يحصيها الدارس جميعها، خاصة أن القرآن الكريم معطاء، ومعجزة متجددة، ومن هنا على الدارس لهذه السنة أن يتلمس هذه الفوائد قدر إمكانه.

ومن هذه الفوائد التي استطعنا أن نتلمسها :

إكرام قوم بالشّهادة، فيُقتَلون، فيكونون شهداء على النّاس بأعمالهم، وليصيروا مشهودًا لهم بالجنّة. وتتلخّص نتيجة المداولة بين المؤمنين والكفار في الحروب: أن الله شرع اللقاء ليبتلي المؤمنين ويثيبهم ويخلصهم من ذنوبهم، ويستأصل الكافرين بالهلاك(1).

ومن فوائد المداولة: بيان أن الشهداء يكونون ممن أخلصوا في إيمانهم وأعمالهم، ولم يظلموا أنفسهم بمخالفة أوامر الله ونواهيه، والخروج عن سننه في خلقه فقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[آل عمران:١٤٠].

أي إن الله لا يصطفى للشهادة الظالمين، ما داموا على ظلمهم، وفى ذلك بشارة للمتقين بمحبة الله لهم، وإنذار للمقصرين عليهم أن ينتبهوا لحالهم، وتعريض لأعداء الله والمشركين بأن الله لا يحبهم، لأنهم ظلموا أنفسهم وسفهوها بعبادة المخلوقات، وظلموا سواهم بالفساد في الأرض، والبغي على الناس وهضم حقوقهم، ومن المعلوم أن الظلم لا تدوم له سلطة، ولا تثبت له دولة، بل تكون دولته سريعة الزوال، قريبة الانحلال.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[آل عمران:١٤١] أي ونداول الأيام ليتميز المؤمنون الصادقون من المنافقين، وتطهر نفوس بعض ضعفاء المؤمنين من كدورتها، فتصير تبرًا خالصًا لا كدورة فيه، فإن الإنسان كثيرًا ما يشتبه عليه أمر نفسه، ولا تتجلى له حقيقتها إلا بالتجارب

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٤/ ١٠٣).

الكثيرة، والامتحان بالشدائد العظيمة، فهي التي تمحصها وتنفى خبثها وزغلها، كما أن تمحيص الذهب يميز بهرجه من خالصه.

فالمعتقد في دين أنه الحق، قد يخيل إليه وقت الرخاء أنه يسهل عليه بذل ماله ونفسه في سبيل الله، ليرفع راية ذلك الدين، ويدفع عنه كيد المعتدين، فإذا جاء البأس ظهر له من نفسه غير ما كان يتصور، انظر إلى الذين خالفوا أمر النبي - ﷺ -يوم أحد وطمعوا في الغنيمة، وإلى الذين انهزموا وولوا الأدبار، كيف محصهم الله(1).

إن الحق -سبحانه- في مسألة مداولة الأيام ينبه المؤمنين الذين تخلخل إيمانهم: ما دمتم اشتركتم معهم في كونكم مجرد «أناس» فيصبح النصر يومًا لهم ويومًا لكم، والذكي العبقريّ الفطن الذي يحسن التصرف هو من يغلب؛ لأن المعركة هنا تدور بين قوة بشر مقابل قوة البشر.

فما دام المسلمون قد تخلوا عن منهج الله فقد صاروا مجرد بشر في مواجهة بشر. ولذلك قلنا: إنه عندما تخلى الرماة عن إنفاذ أمر القائد الأعلى سيدنا رسول الله - ﷺ - ظهرت عبقرية خالد بن الوليد على عبقرية المقاتلين المسلمين.

ويجب أن نلحظ في قوله الحق: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أننا لا يمكن أن نقول: إن مداولة الأيام تكون بين المؤمنين والكافرين، إنما هي بين الناس؛ لأن الناس هم مجموعة الإنسان، فإن تجردوا عن منهج السماء فهم سواسية، وصاحب الحيلة يغلب، أو صاحب القوة يغلب، أو صاحب العدد أو العُدّة يغلب(2).

وخلاصة القول: إن سنة المداولة لها فوائد عديدة منها: أن الشهداء يختارهم الله من المخلصين ويكرمهم عنده، ولا يكون هذا الاختيار للظالمين، وفي ذلك بشارة للمتقين وإنذار لغيرهم، ومنها كذلك: تمييز المؤمنين الصادقين من المنافقين.

---

(1) تفسير المراغي، لمحمد مصطفى المراغي، (٤/ ٨١).

(2) تفسير الشعراوي، الخواطر (٣/ ١٧٨١،١٧٨٠)، محمد متولي الشعراوي.

المبحث الثالث

أهمية دراسة الإعجاز البياني والسنني في الآية، وموقف المسلم منها

المطلب الأول

أهمية دراسة الإعجاز البياني والسنني في الآية

إن دراسة ما تحمله الآية من إعجاز بياني وسنني له من الأهمية الكثير والكثير، فبدراستها نتوسع في فهمها، وفهم ما تحمله من جوانب إعجازية، ومما لاشك فيه أن النظر في الآية الكريمة والتأمل في هذه الجوانب الإعجازية التي تحملها يزيد من عمق المعرفة لدى دارسها، إذ إنه يوقفه على معاني المفردات في الآية الكريمة وتصاريف تلك المفردات، من مثل التعبير في جانب المسلمين بالمضارع: ﴿يَمْسَسْكُمْ﴾، وفي جانب المشركين بالماضي: ﴿مَسَّ﴾، ومعناه، ولفظ القرح والقراءة فيها، قال صاحب المنار: عَبَّرَ بِالْمُضَارِعِ بَدَلَ الْمَاضِي فَلَمْ يَقُلْ "إِنْ مَسَّكُمْ قَرْحٌ" لِيُحْضِرَ صُورَةَ الْمَسِّ فِي أَذْهَانِ الْمُخَاطَبِينَ(١). وكذلك تأكيد بعض الأفعال المضارعة في الآية وترك التأكيد في بعضها الآخر، وفائدة الإشارة بتلك للبعد، وما يفيده العلم بسنة المداولة، وتصريفها والتعبير بالمضارع فيها، وتكرار اللام، وإقحام عدم محبة الله للظالمين بين علل المداولة، والفائدة في مقابلة ما أصاب المسلمين يوم أحد بما أصاب المشركين يوم بدر.

كذلك تتضح الأهمية في إدراك الإعجاز القرآني وتجدد عطائه، فحينما يقرأ المسلم هذه الآيات ويتأمل فيها، وهو مُصاب بأذى من عدوه يقرؤها وكأنها أنزلت له، أو كأنها تخاطبه، أيضًا حينما تتدارسها الجماعة المسلمة أو الأمة بأكملها، والأعداء قد نالوا منها تشعر بالتسلية والبشارة، وتنفض الغبار عن كاهلها، وتقلع عن الوهن والحزن، وتتجدد لديها الثقة بنصر الله وموعوده، كما تتجدد لدى أفرادها الرغبة في نيل الشهادة، وحياز محبة الله – ﷻ – ومن الأهمية: أن يوقن المسلم بأن ما يأتي به الله فيه الخير، فلا يضعف ولا يحزن، وهو جدير بترك

---

(١) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٤ / ١١٩).

الوهن والحزن؛ حتى لا يتطرق إليه شك في الوعد بنصر الله، لأنه إن كان قد أصابه قرح فقد أصاب عدوه قرح مثله.

ومنها: تسلية الله- ﷻ- للمؤمنين وتبصيرهم بقوله﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾[آل عمران:١٤٠]، بقتل مثل من قتل منكم وأسر مثلكم، ويوم أحد بالقتل والهزيمة أول النهار وهم أعداؤه، فهو جدير بأن يظفركم بعد وهنكم وأنتم أولياؤه، فكما لم يضعفهم وهنهم وهم على الباطل فلا تضعفوا أنتم وأنتم على الحق.

قال ابن عاشور: في إدراك المقابلة بما أصاب العدوّ يوم بدر﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾[آل عمران:١٤٠] تعيّن أن يكون الكلام تسلية، وليس إعلامًا بالعقوبة كما قاله جمع من المفسّرين[(١)].

وفيه دافع للمسلم يدفعه لمواصلة الجهاد، ويقينه بأن الوعد بالنصر لأوليائه لن يتخلف.

وفيه أيضًا: العلم اليقيني بأن الله -سبحانه- هو وحده الذي يختار الشهداء، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ﴾[آل عمران:١٤٠] وهو أيضًا الذي يجعل قتلهم في سبيله عين الحياة التي هي الشهادة الحقيقية، لا غيب فيها.

والعلم اليقيني كذلك بأن الله-ﷻ-يزيد في إكرام الشهداء بما صدقوا في إيمانهم بأن لا يكونوا مشهودًا عليهم أصلاً بفتنة في قبورهم ولا غيرها.

ومن الأهمية كذلك: أن الآية تبغضنا في أهل الجحود والظلم ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يضعون الشيء في غير موضعه، ويجحدون حق الله ـ عز وجل ـ في تصرفه التام الكامل في هذا الكون، ويساوون بين من يُقتَل في سبيل الله، ومن يَقتل في سبيل عصبيته معاندًا نبيه ورسوله والدين الذي جاء به.

ومن الأهمية ما ذكره الرازي في قوله: بين الله تعالى أن الذي يصيبهم من القرح لا يجب أن يزيل جدهم واجتهادهم في جهاد العدو، وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم

(١) التحرير والتنوير، (٤/ ١٠٠)، محمد الطاهر بن عاشور. دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م

مثله قبل ذلك، فإذا كانوا مع باطلهم، وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى(١).

ومنها: ازدياد المنسوب الإيماني بعد دراسة الآية الكريمة، فبعد هذه الدراسة يستشعر المسلم ببشارة ربه ـ سبحانه ـ وتسليته للمؤمنين في أحلك الأوقات، ويتذكر بدراسة الآية ما حدث لعدوه سابقًا، ويوقن بنصر الله- ﷻ- واختياره الشهداء، وأن الناس ليسوا سواسية، بل هناك فرق بين من يصدق مع الله ومن لا يصدق، فالله يمحص الأفراد بحسب صدقهم مع ربهم ويقينهم به، إلى غير ذلك مما تسهم به الآية الكريمة في رفع هذا المنسوب الإيماني لدى من يتأمل فيها.

ومجمل القول في ذلك: إن لدراسة الإعجاز البياني والسنني في الآية الكريمة أهمية كبرى، فبها نزداد علمًا وعمقًا في تدبرنا لكتاب ربنا، وندرك إعجاز القرآن الكريم وتجدد عطائه، وبها نستبشر بنصر الله ونثق بوعده، ونوقن بخيرية القدر فلا نحزن ولا نضعف، ولا نتقهقر عن ساحة الجهاد، ونوقن بأن الشهادة اختيار أساسه الإخلاص والتقوى، وبدراستها نستوثق أن الله لا يحب الظالمين، ويمحق الكافرين، حينما يزداد منسوبنا الإيماني، وصدقنا مع الله- ﷻ-.

***

(١) مفاتيح الغيب، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، (٩/ ٣٦٩).

المطلب الثاني

موقف المسلم من جوانب الإعجاز في الآية

إن المسلم بعد دراسته هذه الآية، ومعرفته للأسرار التي تحملها أصبح لزامًا عليه أن يقرأ آيات القرآن الكريم بروح مختلفة عن ذي قبل، فيغير وجهته وهو يتلو كتاب ربه، ويجعل ذلك تصحيحًا لمساره في هذه الحياة الدنيا، ونظرته لها، كما يستشعر أنه مخاطب بكل ما في الآيات التي يتلوها ويتدبرها، يستشعر أنها أنزلت له هو، فكل أمر في القرآن إنما هو أمر له، وكل نهي إنما هو في حقيقته نهي له، وكل خلق ممدوح يسارع في التحلي به، وكل خلق مذموم يسارع في الفرار منه والتخلي عنه، بل ومحاربته بما هو متاح له، وهكذا حتى يقتدي برسوله- ﷺ- الذي "كان خلقه القرآن"(١).

كما أنه بعد دراسته هذه الآية الكريمة، ومعرفته أسرارها يُصبح لزامًا عليه أن يعمل بما فيها، فيستبشر بالبشرى، ويحمد الله على التسلية، ويتذكر أيام الله، ليأخذ منها العبر، وأن النعم لا تدوم إلا باستدامة الحفاظ عليها، وشكر المنعم ورعاية حقه فيها، والتصرف فيها بما يرضيه، والله-تعالى- لا يُخدَع أبدًا، فهو يعلم الصادق في إيمانه من غيره، كما أن الشهادة منة وفضل من الله لا يهبه إلا من صدق معه ـ سبحانه ـ، ودارس الآية يحذر ما يستجلب غضب الله-عز وجل- فيتجنب ظلمه نفسه، ويتجنب ظلمه ربه، ويتجنب ظلمه غيره، وبالجملة يتجنب وضع كل شيء في غير موضعه، فيعمل الدارس لهذه الآية بكل أسرارها ودقائقها هذه، حينها تُحدِث الآية الكريمة فيه إنسانًا جديدًا وروحًا جديدةً.

- كما أن دراسة السنن ـ بوجه عام ـ والعلم بها ضرورة لازمة؛ فهو يجنب صاحبه الاعتقاد الخاطئ، ويرفع شأن المسلمين، ويعرفهم في كل زمان ومكان ببعض حقائق الإسلام

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده، عن عائشة-رضي الله عنها-، برقم: (٢٤٩٧٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، عن عائشة-رضي الله عنها-، برقم: (٤١٦٠).

العظيم، ومعانيه وقوانينه الثابتة، ويجنب صاحبه التصرفات الخاطئة التي تغلب عليها الهمجية والفوضى، بل توقفه على ما أودعه الله في هذا الكون من سنن.

- ودراسة سنة المداولة ـ بوجه خاص ـ تعرفنا العديد من الحكم التي يتزود بها المسلم من هذه السنة، فيعلم كل واحد منا أن الأمر لله ـ سبحانه ـ وحده، وهو الذي يعود إليه علمُ المؤمنين حقًا بنية الجهاد فيكرمهم، وله ـ سبحانه ـ أن يبرز ما يعلمه غيبًا إلى عالم الشهادة ليقيم الحجة على الفاعلين على ما يتعارفه الناس بينهم.
- وفي العلم بهذه السنة بشارة في ترغيب، بأن الله -ﷻ- لا يفعل مع الكفرة فعل المحب، لئلا يحزنوا على ما أصابهم، ونذارة في تأديب بأنهم ما أُخذوا إلا بتضييعهم الثغر الذي أمرهم به من التزموا طاعته وأمر الله بها في المنشط والمكره بحفظه، وأقبلوا على الغنائم قبل أن يفرغوا من العدو.
- يحذر المسلم سنة المداولة حينما يقرأ قول الله تعالى: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ بصيغة المضارع، خاصة بعد إدراكه أن هذه الصيغة "تدل على التجدد والاستمرار؛ فيوقن بأن تلك المداولة سنة مسلوكة بين الأمم قاطبة إلى أن يأتي أمر الله تعالى"(١).
- فواجب المسلم تجاه سنة المداولة أن يعيها ويتفهم أسرارها، ويعلم أن ديننا هو دين الاستمرار على مراقبة الله والتمسك بالحق، يدعو إلى التفكر في أحوال السابقين، وأخذ العبر والعظات، والامتثال لأمر القائد في ساحة القتال، والتعلم من أخطاء النفس وأخطاء الغير، ويأمر بالتوازن الذي يحقق المراقبة دون إفراطٍ ولا تفريط.

هنا فإن المسلم بعد دراسته جوانب الإعجاز في الآية الكريمة يصبح لزامًا عليه أن يدأب على تدبر كتاب الله –سبحانه– والتخلق بما فيه، فيستبشر بالبشرى، ويشكر الله على نعمه، ويراعي حق المنعم فيها، ويصدق مع الله فيبذل الغالي والنفيس ليستحق الإكرام منه، ويتبصر بسنن الله في خلقه، وقوانينه الحاكمة لهذا الكون المطردة فيه، فيعمل من أجل الانتفاع بها، ويعي سنة المداولة فيستمر على طاعة ربه ومراقبته، والاعتبار بالأمم السابقة وما حدث لها.

(١) روح المعاني، الألوسي، بتصرف، (٢/ ٢٨٤).

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد-ﷺ-أما بعد:

ففي نهاية المطاف أوصلنا البحث إلى العديد من النتائج، ومنها:

أولاً: أن إعجاز القرآن الكريم معناه: تحدي القرآن الكريم الخلق قاطبة عن الإتيان بمثل القرآن، أو بشيء من مثله، أما الإعجاز البياني، فهو الدقة في اختيار كلمات القرآن الكريم وجمله، وترتيبها بصورة بديعة.

ثانيًا: إن الآية الكريمة: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾[آل عمران:١٤٠] وردت مفعمة بأكثر من جانب من جوانب الإعجاز القرآني، ومنها الإعجاز البياني والسنني، من مثل معنى المس والقرح والتداول، والتسلية والتبشير، والتنكير في لفظ: "قرح"، والتعبير بالمضارع في "يمسسكم"، وبه أيضًا في سنة المداولة، وبه كذلك في العلل الثلاث للمداولة، وتكرير اللام لتأكيد بعض الأفعال، وتأكيد بعضها دون البعض الآخر، والسر في إقحام نفي محبة الله للظالمين بين هذه العلل، والبشارة والترغيب في سنة المداولة، والقراءات في لفظ: "قرح" بالفتح والضم.

ثالثًا: الآية الكريمة تبصرنا بسنة من سنن الله في خلقه، وهي سنة المداولة، ومفهومها: قانون الله أو حكمه في تداول أحوال البشر، من شدة إلى رخاء ومن رخاء إلى شدة، ومن نصر إلى هزيمة، ومن هزيمة إلى نصر، إلى غير ذلك من مظاهر تقلبات الأحوال وتغيير المواقف وتداول المواقع، حسب تغير أحوال الناس أو ثباتها، وسنة المداولة وثيقة الصلة بسنة التغير، ذلك أن سنة التغير لازمة لسنة المداولة، والثانية ملزومة للأولى، فتحوله لقوم لا يحدث إلا بتحول هؤلاء القوم عن طاعة الله أو التقصير في أوامره ـ سبحانه ـ

رابعًا: السنن الإلهية تعني: أحكام الله-تعالى- وقوانينه التي تجري باطراد وثبات، وعموم وشمول، بلا تبدل ولا تحول، مرتبة على سلوك البشر، وفق مشيئة الله وعدله وحكمته في مخلوقاته.

خامسًا: لدراسة الإعجاز البياني والسنني في الآية الكريمة أهمية كبرى، فبها نزداد علمًا وعمقًا في تدبرنا كتاب ربنا، وندرك إعجاز القرآن الكريم وتجدد عطائه، وبها نستبشر بنصر الله ونثق بوعده، ونوقن بخيرية القدر فلا نحزن ولا نضعف، ولا نتقهقر عن ساحة الجهاد، ونوقن بأن الشهادة اختيار أساسه الإخلاص والتقوى، وبدراستها نستوثق أن الله لا يحب الظالمين، ويمحق الكافرين، حينها يزداد منسوبنا الإيماني وصدقنا مع الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

سادسًا: يلزم المسلم بعد دراسته هذه الآية أن يدأب على التخلق بما فيها، فيستبشر بالبشرى، ويشكر الله على نعمه، ويراعي حق المنعم فيها، ويصدق مع الله فيبذل الغالي والنفيس ليستحق الإكرام منه، ويتبصر بسنن الله في خلقه، وقوانينه الحاكمة لهذا الكون المطردة فيه، فيعمل من أجل الانتفاع بها، ويعي سنة المداولة فيستمر على طاعة ربه ومراقبته، والاعتبار بالأمم السابقة.

***

التوصيات:

- يوصي الباحث في نهاية هذا البحث بالتزود من دراسة الآيات المليئة بالجوانب الإعجازية، لإبراز ما تحمله من أسرار وهدايات ومواعظ.
- كذلك يوصي بالاهتمام بدراسة السنن وتبني الجامعات لدراستها كمقرر دراسي، خاصة في تخصصات الدراسات القرآنية.

***

المراجع

(أ) القرآن الكريم.

(ب) المراجع الأخرى.

١- الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، ط: المطبعة الميمنية، القاهرة١٣١٧هـ.

٢- أسرار البيان في التعبير القرآني، فاضل السامرائي، كتاب على الشبكة العنكبوتية.

٣- الإعجاز العلمي في السنة النبوية صالح بن أحمد رضا ط: مكتبة العبيكان بالرياض ط: أولى ١٤٢١/ ٢٠٠١م.

٤- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٥- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة - القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٦- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ،١٩٥٧م.

٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٨- التعاريف (التوقيف على مهمات التعاريف)، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، ط: عالم الكتب، القاهرة ط: أولى١٤١٠هـ.

٩- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت ط: اولى١٤٠٣هـ تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر.

١٠- تفسير الشعراوي، الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧م.

١١- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، طبعة: ثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٢- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ، ١٩٤٦م.

١٣- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/ ١٩٧٣م، ط: ١٩٩٠م.

١٤- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط: دار المعارف، بيروت، لبنان، د. ت.

١٥- التفسير المنير، في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

١٦- التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة: العاشرة،١٤١٣هـ.

١٧- جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٨- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٩- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١هـ.

٢٠- دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ،١٩٩٩م.

٢١- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، الناشر: دار الفكر، بيروت، د.ت.

٢٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٣- السماء في القرآن الكريم (من آيات الإعجاز العلمي) زغلول راغب محمد النجار، ط: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:ثانية١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.

٢٤- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: ثالثة،١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٢٥- سنة الله في الترف والمترفين، لشعبان رمضان محمود، بحث منشور في دورية كلية دار العلوم، جامعة المنيا، العدد: (إصدار خاص ٢٠٠٨م).

٢٦- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري، دار الكتب العلمية، بيروت، تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢٧- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ،١٩٩٧م.

٢٩- على طريق التفسير البياني، لفاضل صالح السامرائي، ط: جامعة الشارقة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٣٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/ ثانية ١٣٨٣هـ١٩٦٤م.

٣١- الكنز في القراءات العشر، أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين، تحقيق: خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م.

٣٢- لسان العرب، لابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر ـ بيروت، ط: الأولى.١٤١٤هـ.

٣٣- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، وابنه محمد طبع بإشراف: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ط/ الأولى١٣٩٨هـ.

٣٤- مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٣٥- معالم التنزيل: البغوي: (أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي) ت٥١٦هـ، تحقيق خالد العك ومروان سوار، ط: دار المعرفة، بيروت، ط: الخامسة١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

٣٦- المعجزة القرآنية (الإعجاز العلمي والغيبي) د/ محمد حسن هيتو، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة١٤١٩هـ١٩٩٨م.

٣٧- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٣٨- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني، ط: دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٤٠- مقدمة تاريخ ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ط: دار الجيل، بيروت.

٤١- من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (مع آيات الله في السماء والأرض في ضوء

الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية) أ. د. حسن أبو العينين، ط: مكتبة العبيكان بالرياض، ط: الثانية١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.

٤٢- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط: دار الفكر، بيروت، ط: أولى١٩٩٦م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٤٣- موسوعة فقه الابتلاء، علي بن نايف الشحود، على موقع: الموسوعة الشاملة.

٤٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٥- هداية القرآن في الآفاق والأنفس وإعجازه العلمي لمحمد إبراهيم شريف، ط: مطبعة المدينة، دار السلام، القاهرة،عام١٩٨٦م.

٤٦- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

***